الإسلامية الصباح
العدد 1906 - السنة السابعة
الإثنين 9 رمضان 1436 - الموافق 7 يوليو 2014
Monday 7 July 2014 - No.1906 - 7th Year

## أدعية رمضانية

اَللَّهُمَّ طَهِّرْني فيهِ مِنَ الدَّنَسِ والْأَقْذارِ، وصَبِّرْني فيهِ عَلى كائِناتِ الْأَقدارِ، ووَفِّقْني فيهِ لِلتُّقى وصُحْبَةِ الْأبرارِ بِعَوْنِكَ ياقُرَّةَ عَيْنِ الْمَساكِينِ.

# في فرض الصيام

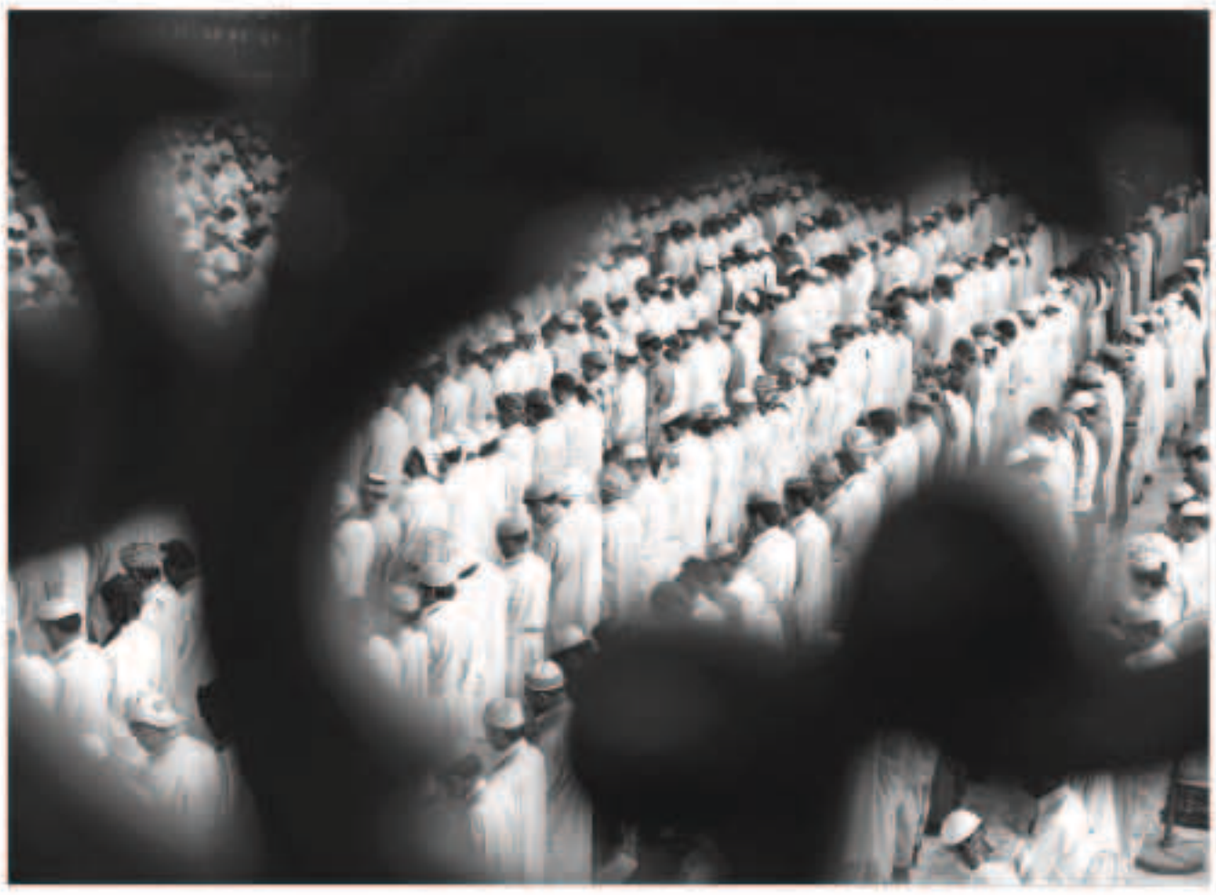

## الإنسان مخلوق ليعيش في عالمين .. المادة والروح

## شرع الإسلام العبادات الشعائرية وسائل للإنسان لينتصر بها على شهواته

راجت سوقها، ما أنزل الله بها من سلطان، وهي ما سموه «قوازير رمضان» التي اشتكى منها العلماء والعقلاء، وقالوا: إن رمضان بريء منها، ولا يجوز أن تنسب إليه بحال من الأحوال.

كذلك نحس أثر هذا الشهر في الحياة الاجتماعية: حيث تزداد الأسرة تماسكا، ويزداد المجتمع تواصلا: فيزور الناس بعضهم بعضا، ويدعو بعضهم بعضا على الإفطار، ويحس الفقراء بأنهم في هذا الشهر أحسن حالا، وأوسع عيشا من الشهور الأخرى؛ بسبب موائد الرحمن، التي يقدمها الموسرون للمعوزين من الناس؛ لينالوا أجر تفطير الصائم، وتنتعش المشروعات الخيرية بما يقدم إليها من مساعدات من أهل الخير، من الزكوات المفروضة التي يُؤثر كثير من المسلمين إخراجها في رمضان، ومن الصدقات المستحبة التي يتسابق الناس إليها في هذا الشهر الكريم.

الا ما أحوج أمتنا إلى أن تستفيد من هذا في شهر رمضان؛ فهو موسم المتقين، ومتجر الصالحين، وميدان المتسابقين، ومغتسل التائبين. ولهذا كان السلف إذا جاء رمضان يقولون: مرحبا بالمطهر! فهو فرصة للتطهر من الذنوب والسيئات، كما انه فرصة للتزود من الصالحات والحسنات. فلنتخذ من رمضان (معسكرا) إيمانيا لتجنيد الطاقات، وتعبئة الإرادات، وتقوية العزائم، وشحذ الهمم، وإذكاء البواعث للسعي الدؤوب لتحقيق الآمال الكبار، وتحويل الأحلام إلى حقائق، والمثاليات المرتجاة إلى واقع معيش.

ورحم الله أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي الذي قال: «لو أنصفك الناس يا رمضان لسموك مدرسة الثلاثين يوما».

ويتيسر في هذا الشهر المبارك إطعام الطعام وتفطير الصوام، وذلك من أسباب مغفرة الذنوب وعتق الرقاب من النار، ومضاعفة الأجور، وورود حوض النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي: من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا نسأل الله بمنه وجوده أن يوردنا إياه. وإطعام الطعام من أسباب دخول الجنة دار السلام، ورمضان شهر تتوفر فيه للمسلمين أسباب الرحمة وموجبات المغفرة، ومقتضيات العتق من النار، فما أجزل العطايا من المولى الكريم الغفار.

وهو شهر الذكر والدعاء وقد قال تعالى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [الجمعة، الآية: 10] وقال سبحانه: وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب، الآية: 35] وقال سبحانه: «وادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» [الأعراف، الآية: 56] وقد قال تعالى في ثنايا آيات الصيام: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [البقرة، الآية: 186] مما يدل على الارتباط بين الصيام والدعاء.

وفي شهر رمضان، ليلة القدر التي قال الله في شانها: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» [القدر، الآية: 3] قال أهل العلم معنى ذلك: أن العمل فيها خير وأفضل من العمل في ألف شهر - وهي ما يقارب ثلاثا وثمانين سنة - خالية منها وكفى بذلك تنويها بفضلها وشرفها، وعظم شان العمل فيها لمن وفق لقيامها - نسال الله تعالى أن يوفقنا على الدوام لذلك بمنه وجوده - وجاء في الصحيح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وهذا من فضائل قيامها وكفى به ربحا وفوزا.

ومن خصائصه، فضل الصدقة فيه عنها في غيره، ففي الترمذي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، سئل أي الصدقة أفضل ؟ قال صدقة في رمضان وثبت في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن. وكان جبرائيل يلقاه كل ليلة من شهر رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة» ورواه أحمد. وزاد ولا يسال شيئا إلا أعطاه والجود: هو سعة العطاء بالصدقة وغيرها.

وفي زيادة جوده، صلى الله عليه وسلم، في رمضان اغتنام لشرف الزمان، ومضاعفة العمل فيه والأجر عليه، فقد روي عنه، صلى الله عليه وسلم - كما في حديث سلمان - أنه قال - في رمضان -: «من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ولأن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا والوقاية من النار». ففي الحديث الصحيح «الصوم جنة» اي وقاية من النار وفي الصحيح ايضا قال، صلى الله عليه وسلم، «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

ومن خصائص رمضان أن العمرة فيه تعدل حجة، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي، صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة» وفي رواية: حجة معي.

ومن خصائصه، أنه شهر القرآن «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» [البقرة، الآية: 185] فللقرآن فيه شان في إصلاح القلوب والهداية للتي هي أقوم لمن تلاه وتدبره وسال الله به، وكم جاء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، من بيان لفضل تلاوة القرآن ؟ بقوله، صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» وقوله، صلى الله عليه وسلم: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعا لأهله يوم القيامة» وقوله، صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما» وقوله، صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وكلها أحاديث صحيحة، متضمنة لأعظم البشارات لتالي القرآن عن تفكر وتدبر، فكيف إذا كان في رمضان؟!! جعلنا الله من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

(صيد الفوائد)

ملائكة الخير شياطين الشر، وقد عبر عن ذلك الحديث الشريف: «إذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة، وغلقت ابواب جهنم، وصفدت الشياطين، وفي رواية: «وناادى مناد: يا باغي الخير اقبل، ويا باغي الشر اقصر».

هذا الاحتفاء السماوي الكبير بمقدم رمضان؛ تفتيح أبواب الجنان، وتغليق أبواب النيران، وتصفيد كل شيطان.. دليل على أن لهذا الشهر منزلة جليلة، وأن له في حياة المسلمين رسالة عظيمة، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بتهيئة الجماعة المؤمنة للتقوى، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة: 183) ومن راقب حياة المسلمين في كل عام قبل قدوم رمضان، وبعد رحيل رمضان يستيقن من هذه الحقيقة الاجتماعية الثابتة بالمشاهدة، وهي تواقر الخير وعمل الصالحات في هذا الشهر، وقلة الشر والجرائم فيه.

ولهذا يجتهد الوعاظ والخطباء في أواخر الشهر، ليغروا جماهير الناس باستمرار هذه النيات الصالحة، والعزائم الصادقة على عمل الخير، وخير العمل، وكثيرا ما سمعناهم يقولون في خطبهم ودروسهم: من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان، كن ربانيا، ولا تكن رمضانيا!

وإنك لتعجب من تاثير هذا الشهر في الناس الذين انقطع حبل الصلة بينهم وبين الله ربهم وخالقهم ورازقهم؛ فإذا هم يعودون إليه في رمضان، ويعرفون المسجد، وتلاوة القرآن. وبعضهم يصوم هذا الشهر ان لم يزاول الصلاة.

ولكن.. كيف نستقبله؟

وإنك لترى اثر ذلك في أجهزة الإعلام؛ فتراها في هذا الشهر العظيم تستحي من تقديم ما لا تستحي منه في سائر الشهور، من الغان وافلام وتمثيليات ومسلسلات ومسرحيات، بل تعد لهذا الشهر برامج خاصة، تغذي الروح، وتنمي الإيمان، وتعلي القيم، وتزكي الأنفس، وتطارد الفحشاء والمنكر والبغي، لولا ما يشوبها في بعض الأقطار من بدعة

### تذكير بنعم الله

في شهر رمضان يحس المسلم بمقدار نعمة الله عليه في الشبع والري؛ فإن إلف النعم يفقد المرء الإحساس بقيمتها، ولا تعرف النعم الكثيرة إلا عند فقدها، ولهذا قيل: الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، والإنسان إذا أمسك طوال النهار عن الطعام حتى عضه الجوع، وعن الشراب حتى مسه الظمأ، حتى إذا جاء المغرب، فاشبع جوعه، وروى ظمأه.. أحس بمقدار هذه النعمة، وقال حامدا الله تعالى: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله».

هنا يحس الإنسان بفرحة فطرية، حين اكل ما كان محرما عليه طوال يومه، وهو ما عبر عنه الرسول الكريم بقوله: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

### شهر التعاطف

بالصوم كذلك يشعر الإنسان بآلام الآخرين، وبجوع الجائعين، وحرمان المحرومين، حين يذوق مرارة الجوع، وحرارة العطش؛ فيعطف عليهم قلبه، وتنبسط إليهم يده، ولهذا عُرف رمضان بانه شهر المواساة والبر والخيرات والصدقات، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان أجود ما يكون؛ فهو أجود بالخير من الريح المرسلة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

ولقد حُكي عن يوسف الصديق عليه السلام انه كان لا يشبع من طعام، وبيده خزائن الأرض في مصر؛ فلما سئل في ذلك، قال: أخشى إذا شبعت أن انسى جوع الفقراء! إن رمضان شهر فريد في حياة الفرد المسلم، وفي حياة الأسرة المسلمة، وفي حياة الجماعة الإسلامية، وانا اسميه «ربيع الحياة الإسلامية»، فيه تتجدد الحياة كلها: تتجدد العقول بالعلم والمعرفة، ويتجدد المجتمع بالترابط والتواصل، وتتجدد العزائم باستباق الخير؛ إذ تكثر حوافزه، وتقل أسباب الشر ودواعيه، وتطرد

## إذا دعاه ويكشف السوء»

الأصوات عندهم، ومن رفع صوته لديهم مقنوط، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به. وثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع، ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص. وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه. وسادسها: وهو من النكت البديعة جدا - أنه دال على قرب صاحبه للقريب، لا مسالة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عز وجل: «إذ نادى ربه نداء خفيا» مريم3». وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنه قد يمل اللسان، وتضعف قواه. وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات. وتاسعها: أن أعظم النعم الإقبال والتعبد، ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة. وعاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى، متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه، فهو ذكر وزيادة. اهـ.

- ومن آداب الدعاء: حضور القلب وهو من أسباب قبول الدعاء، فحضور قلب الداعي، من الأسباب التي تقرب من إجابة دعائه، وعموم النصوص تدل على ذلك، كقوله تعالى: «ادعوا ربكم تضرعا وخفية» الأعراف 55». وقوله: «وادعوه خوفا وطمعا» الأعراف 56». فإن الدعاء بتضرع وخفية وخوف وطمع يستلزم - ولابد - حضور قلب الداعي.

وهو ظاهر وفي الحديث أن صلى الله عليه وسلم قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه».

- ومن آداب الدعاء: استحباب تكرير الدعاء والإلحاح فيه. فالإلحاح في الدعاء عين العبودية لله سبحانه وتعالى، وإذا كان الداعي مكررا وملحا في دعائه مظهرا ذله وفاقته وفقره لربه، فإنه يقرب من إجابة الله له، ومن أكثر طرق الباب يوشك أن يفتح له.

فعن عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من على منكبيه...ثم أنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين، فامده الله بالملائكة... الحديث».

وللحديث بقية وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وسلم والحمد لله رب العالمين.

يتبع

## التراويح أكثر من ألف عام «8» في المسجد النبوي

### عهد الأئمة الأربعة رحمهم الله

أولا: عهد مالك رحمه الله إمام دار الهجرة:

لقد أدرك مالك رحمه الله عمر بن عبد العزيز، وأدرك من حياته ثمان سنوات لأن عمر رحمه الله مات سنة101، ومالك ولد سنة93، فكانت وفاة عمر بعد ولادة مالك بثمان سنوات أي حين كان مالك في أوائل طلب العلم، وقد جاءت النصوص أن عدد ركعات التراويح ستا وثلاثين أثناء وجود مالك؛ بل كانت موجودة وعمره أربع وثلاثون سنة كما في رواية وهب بن كيسان، قال: «ما زال الناس يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث إلى اليوم في رمضان» وقد مات وهب سنة127، وقد نص مالك رحمه الله بما هو أصرح من ذلك حيث جاء عن ابن أيمن عند المروزي قال مالك: «أستحب أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة ثم يسلم الإمام والناس، ثم يوتر بهم بواحدة»، وهذا العمل بالمدينة قبل الحرة منذ بضع ومائة سنة؛ فيفهم من قول مالك هنا: «وهذا العمل قبل الحرة منذ بضع ومائة سنة»، أن التسع والثلاثين بما فيها الوتر كانت قبل عمر بن عبد العزيز، وأنه العدد الذي أقره واستحبه مالك وأخذ به.

ولذا كان يكره أن ينقص عن هذا العدد، كما روى ابن القاسم عنه قال: «سمعت مالكا يذكر أن جعفر بن سليمان أرسل إليه يسأله أينقص من قيام رمضان فنهاه عن ذلك، فقيل له: قد كره ذلك؟ أي قبل لابن القاسم قد كره مالك ذلك، قال: نعم...» راجع المدونة ج1ص222.

وقد قام الناس هذا القيام قديما، قيل له: فكم القيام؟ فقال: تسع وثلاثون ركعة بالوتر، وسياتي نص مذهب مالك مفصلا في ذلك على حدة إن شاء الله، مع نصوص المذاهب الأربعة بعد، والمراد هنا ذكر حالة التراويح في عصره في المسجد النبوي. وقد أدرك الشافعي مالكا وأخذ عنه، وجاء عن الشافعي ايضا هذا العدد في المدينة المنورة، قال الزعفراني عن الشافعي: «رأيت الناس يقومون بالمدينة تسعا وثلاثين ركعة». أما مذهبه فأشار عليه بقوله عقب ذلك «وأحب إلي عشرون»، قال: «وكذلك يقومون بمكة» أي بالعشرين، قال: «وليس في شيء من هذا ضيق، ولا حد ينتهي إليه لأنه نافلة فإن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن، وهو أحب إلي، وإن أكثروا السجود فحسن». وسياتي تفصيل مذهبه إن شاء الله عند ذكر المذاهب الأربعة في المسالة، وعليه فلا جديد في عدد الركعات، ولكن قد وجد جديد في نواح أخرى منها:

1 - كيفية القراءة أي مقدارها، فقد كانت بعشر آيات في كل ركعة كما في رواية عبد الرحمن بن القاسم عند المروزي: «سئل مالك عن قيام رمضان بكم يقرأ القارئ؟ قال: بعشر عشر، فإذا جاء السور الخفيفة قليلا مثل الصافات، ونحوها، فقل: له خمس، قال: بل عشر آيات». ونص ابن وهب في المدونة الكبرى ج1ص223: «أن عمر بن عبد العزيز أمر القراء يقومون بست وثلاثين ويوترون بثلاث، ويقرأ بعشر آيات في كل ركعة». بينما نجد في زمنه من يقرأ القرآن كل ليلة، قال مالك: «كان عمر بن جعد من أهل الفقه والفضل، وكان عابدا، ولقد أخبرني رجل أنه كان يسمعه في رمضان يبتدئ القرآن في كل يوم، قيل له: كأنه يختمه؟ قال: نعم، وكان في رمضان إذا صلى العشاء انصرف، فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين قامها مع الناس، ولم يكن معهم غيرها»، فقيل له: «يا أبا عبد الله فالرجل يختم القرآن كله في ليلة؟ قال: ما أجود ذلك إن القرآن إمام خير أو إمام كل خير» اهـ.

### الجهر بالبسملة:

2 - ومنها أنه وجد في زمنه هيئة افتتاح القراءة لم تكن من قبل، وهي الجهر بالبسملة والاستعاذة.

قال ابن وهب: «سالت مالكا قلت: أيتعوذ القارئ في النافلة؟ قال: نعم، في شهر رمضان يتعوذ في كل سورة يقرأ بها يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قيل له: ويجهر بذلك؟ قال: نعم؛ قيل له: ويجهر في رمضان ببسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: نعم».

وعن ابن القاسم: «سئل مالك عن القراءة إذا كبر الإمام افتتح بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟ قال: لا أعلمه يكون إلا في رمضان، فإن قراءنا يفعلون ذلك، وهو من الأمر القديم».

وقوله: هو من الأمر القديم يشهد له ما جاء عن أبي الزناد قال: «أدركت القراء إذا قرءوا في رمضان تعوذوا بالله السميع من الشيطان الرجيم ثم يقرؤون». قال المروزي: «وكان إذا قام في رمضان يتعوذ حتى لقي الله لا يدع ذلك». وأبو الزناد مات سنة 130هـ أي بعد عمر بن عبد العزيز وقبل مالك. وجاء أن قراء عمر بن عبد العزيز كانوا لا يدعون التعوذ في رمضان، ولعل هذا هو مراد أبي الزناد بقوله أدركت القراء، يعني قراء عمر بن عبد العزيز، لأن بين وفاته ووفاة عمر بن عبد العزيز تسعة عشر سنة فقط. وظل هذا الأمر بعد أبي الزناد إلى سعيد بن إياس قال: «رأيت أهل المدينة إذا فرغوا من أم القرآن ولا الضالين، وذلك في شهر رمضان يقولون: «ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم». أما حكم المسالة عند مالك فكما قال الباجي في شرح الموطا: «مسالة: ولا بأس بالاستعاذة للقارئ في رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة، وروى عنه اشهب في العتبية: «ترك ذلك أحب إلي».

وقد وجه الباجي كلا الروايتين، والواقع أن البسملة كما قيل: إنها حرف أي جاءت رواية في القراءات السبع بإثباتها، ورواية بإسقاطها، وهما عن نافع رحمه الله، فرواية ورش ترك البسملة، ورواية قالون عنه إثباتها وعليه البيت الآتي في القراءات:

وورش الوجهان عنه نقلا قالون بين السورتين بسملا

ونافع هو قارئ المدينة، وعنه أخذ مالك، ومالك في ذلك رجح قراءة قالون، والرواية عن ورش التي فيها الإثبات.

أما ما يبدأ به القراءة في أول ليلة من رمضان فقد قال المروزي قال أبو حازم: «كان أهل المدينة إذا دخل رمضان يبدءون في أول ليلة بـ «إنا فتحنا لك فتحا مبينا». وأخبرني الشيخ حماد الأنصاري المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة أن هذا هو عمل البلاد إلى اليوم وقد تركهم بفعلونه قبل أن يهاجر إلى المدينة، وقد باشر هذا بالفعل حينما كان إماما في بلاده في التراويح، وأهل تلك البلاد كلهم على مذهب مالك.

مقارنة بين قيام أهل المدينة وأهل مكة في ذلك الوقت:

مما تقدم من كلام مالك أنه يستحب أن يقوم الناس بثمان وثلاثين ويوتر بواحدة أي تمام تسع وثلاثين، مع ما تقدم من كلام الشافعي أنه أدرك الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين؛ فإن ذلك كله بين ما كان عليه القيام بالمدينة زمن مالك والشافعي. ولكن الشافعي قال فيما تقدم: «وأحب إلي عشرون»، وقال: «وكذلك يقومون بمكة»، ثم قال: «إنه نافلة وليس في ذلك حد ينتهي إليه». ومن مجموع هذه الأقوال يثار سؤال وهو: لم كان أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ويستحبه مالك، في الوقت الذي لا يقوم فيه أهل مكة إلا بعشرين وهو أحب إلى الشافعي؟ أما قول الشافعي رحمه الله: «وأحب إلي عشرين، وأنه قيام مكة»: فإن الظاهر والله تعالى أعلم أن الأصل أي ما كان عليه العمل زمن الخلفاء الثلاثة: عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وعليه إجماع الصحابة أنهم قاموا بذلك العدد في المسجد، وقام به علي بنفسه في زمنه، أي أمر القارئ أن يصلي بعشرين وكان هو يوتر لهم، وقال أبو زرعة في طرح التثريب ج1ص198: «والسر في العشرين أن الراتبة في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت فيه لأنه وقت جد وتشمير». وعلى كل فهو عمل يدخل في سنة الخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم، فكان أهل مكة عاملين بالأصل، وليس هناك موجب للزيادة على العشرين، وإن كانت كما قال الشافعي: «إنه تطوع وليس في ذلك حد ينتهي إليه». أما قيام أهل المدينة بست وثلاثين فهو زائد عن ذلك الأصل، وهو وإن كان تطوعا فلم يستحبه مالك؟ ثم ولما زاد أهل المدينة على ما كان الأصل مع أن المتوقع أن يكونوا هم أولى بالوقوف عند ما هو الأصل: عشرين ركعة. والجواب عن ذلك ما حكاه النووي في المجموع شرح المهذب، وحكاه غيره من أن المسالة من باب الاجتهاد في الطاعة، والمنافسة في الخير، وأن الموجب الأساسي لذلك هو أن أهل مكة كانوا إذا تروحوا ترويحة قاموا إلى البيت فطافوا سبعا، وصلوا ركعتي الطواف، ثم عادوا إلى الترويحة الأخرى. ومعلوم أن الترويحة أربع ركعات بتسليمتين وكانت الاستراحة تقع بين كل أربع ركعات فيكون لديهم فرصة للطواف أربع مرات بين التراويح، فأراد أهل المدينة أن يتعوضوا عن الطواف فجعلوا ترويحة مقابل كل طواف.

يتبع